خاتمة
في بيان الأهداف والمقاصد العامة من النِّداء

سبقَ بيانُ أهميَّة النِّداءِ في الخطاب القرآني، والتَّعريف به، وسآتي هنا على بيان مقاصد النِّداء العامَّة في الخطاب القرآني..

وقد سبق بيان أنَّه يصحب الأمر والنَّهي، والاستفهام والخبر..

وفي ذلك ما فيه من الأهميَّة ولفت المخاطَب إلى ما يعقب النِّداء من الأمر أو النَّهي، أو التَّوجيه أو الإرشاد، أو التَّحذير والإغراء، أو التَّرغيب أو التَّرهيب، وكذلك الإجابة عمَّا يرد على ذهنه من التَّساؤلات. وذلك يدلُّ على أنَّ الاتِّصال مع المخاطِب عَزَّوَجَلَّ -بكسر الطاء المهملة- ليس مجرَّد ادِّعاءٍ يدَّعيه المخاطَب -بفتح الطاء المهملة-، وإنَّما هو مجموعةٌ من الأوامر والنَّواهي والصِّفات التي تدلُّ على تحقُّقِ معنى الإيمان في المخاطَب، وإذعانه وامتثاله لما تضمَّنه الخطاب، والوفاء لنِعَم المخاطِب عَزَّوَجَلَّ عليه...الخ.

"وربَّما تقدَّمت (جملةُ الأمر) (جملةَ النِّداء) كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور:٣١]. وإذا جاءت (جملةُ الخبر) بعد النِّداء تتبعها (جملة الأمر) كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج:٧٣]. وقد تجيءُ معه الجملُ الاستفهاميَّةُ والخبريَّةُ كقوله عَزَّوَجَلَّ في الخبر: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الزخرف:٦٨].

وفي الاستفهام: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ﴾ [مريم:٤٢]، ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ [غافر:٤١]، ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١].

وهنا فائدتان:

إحداهما: كلُّ نداءٍ في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ يعقبه فهمٌ في الدِّين إمَّا من ناحية الأوامر والنَّواهي التي عقدت بها سعادة الدَّارين، وإمَّا مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى، كلُّ ذلك راجعٌ إلى الدِّين الذي خلق الخلقُ لأجله، وقامتْ السَّموات والأرضُ به، فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصِّيغة البليغة.

الثَّانية: النِّداء إنَّما يكون للبعيد حقيقةً أو حكمًا. وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢] لطيفةٌ، فإنَّه عَزَّوَجَلَّ بيَّن أنَّه كما ناداه ناجاه أيضًا، والنِّداء مخاطبة الأبعد، والمناجاةُ مخاطبةُ الأقرب، ولأجلِ هذه اللَّطيفة أخبرَ عَزَّوَجَلَّ عن مخاطبة لآدم وحواء عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥].

وفي موضع: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ [الأعراف:١٩]. ثمَّ لما حكى عنهما ملابسة المخالفة قال في وصف خطابه لهما: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الأعراف:٢٢]، فأشعر هذا اللَّفظ بالبعد لأجل المخالفة كما أشعر اللَّفظ الأوَّل بالقرب عند السَّلامة منها"[(١)].

ومما سبق يتبيَّن:

١ – أنَّ النِّداءَ وسيلةٌ من وسائلِ الاتِّصال بين البشر.

٢ – فيه ما يدلُّ على اجتماعيَّة اللُّغة العربيَّة.

٣ – كثرةُ استخدامه في القرآن الكريم، وكثرةُ استخدامه بين البشر تدلُّ على أهميَّته.

٤ – إنَّ النِّداء هو من أنواع الخطاب القرآني المباشر، وإنَّ التَّعرف على أساليب الخطاب القرآني المباشر تعرُّفٌ على أرقى أنواع الخطاب مع الآخر، وفيه التَّنوع والتَّلوين والتَّعليم والتَّوجيه والإرشاد والتَّحذير والتَّرغيب والتَّرهيب للمكلَّف، وأيضًا فيه ما فيه من الإعجاز والتَّناسق، والتَّوافق التَّامُّ مع المقام ومقتضى الحال.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٣- ٣٢٥)، وانظر: الكشاف (١/٢٢٦).

٥ - تتنوع أساليب النداء بما يتلاءم مع مكانة كل من المنادى والمنادِي، كما يكون مدحًا أو ذمًّا أو تنبيهًا أو إضافة أو نسبة أو غير ذلك.